الوريث

9

المواجهة

بقلم

مايكل يوسف

مقدمة لابد منها ...!!

وجب التنوية ان هذا العمل مؤلف خاص بى من ابداعى وأفكارى الشخصية ولا يمت للواقع بصلة وليس له علاقة من قريب او من بعيد بمؤلفات وكتابات أستاذنا الغالى وابينا الروحى المرحوم الدكتور / نبيل فاروق واى تقارب او تشابه فكرى فهو بالتاكيد من قبيل المصادفة ، وايضا من تربى على أبداعات أستاذنا الغالى لمدة تتجاوز خمسة وثلاثون عاماً بالتاكيد لابد أن يتاثر به .. وهذا شرف لا ادعية ،، بل اعتبر ان هذا العمل هو أهداء الى روح أستاذنا الغالى وابينا الروحى الدكتور / نبيل فاروق .. عرفانا منا بالجميل الذى يطوق اعناقنا نحن والالاف من الشباب بل الملايين فى الوطن العربى باكملة عاشت وتربت على المبادى والقيم التى زرعها بداخلنا أستاذنا الغالى .

ولكنها بالنسبة لنا ولالاف من الشباب العربى محاولة استكمال الحلم الجميل الذى كنا نعيشة بين ابداعاته وافكارة .

فشكرا لك استاذنا الغالى ..

شكرا نيابة عن نفسى ..

وشكرا نيابة عن اجيال كثيرة تربت وعاشت على ما زرعت بنا ..

مايكل يوسف

سلسلة

الوريث

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

مايكل يوسف

العدد التاسع

المواجهة

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

فتح باب المكتب الخاص بالسيد مدير المخابرات المصرية ، ودخل منه ويتبعه (مراد) ، وجلس السيد مدير المخابرات خلف مكتبة ، وأشار (لمراد) بالجلوس ، وسالة .

- هل من اخبار جديدة ؟؟

هز (مراد) رأسه نفيا ، وتابع قائلا

- لا جديد يا سيدى منذ آخر تقرير بمستجدات الوضع منذ ساعة تقريبا ، والذي اشار ان (ليان) و(اية) بالفعل داخل أراضي قطاع غزة ، وما تم تأكيده هو وصول السيد (خيرى) ايضا الى داخل القطاع ، ولكن مع بداية القصف الاسرائيلي على شمال قطاع غزة وانقطعت الاخبار والاتصالات مع رجالنا هناك وايضا (نورهان) و (مسعود) ولم تصلنا اية اخبار عنهم حتى الآن يا سيدى .

صمت السيد مدير المخابرات بعد كلام (مراد) وظل صامتا يفكر فى الوضع كله وما الت اليه الامور في الساعات الاخيرة ، واشار (لمراد) بالانصراف واراح ظهره فى المقعد اكثر وسرح بخياله يتذكر بداية الاحداث .

تذكر كيف بدأ الامر بنجاح (ليان) فى تهريب (زينة) ابنة المناضل الفلسطينى (الشيخ دياب) الى الاراضى المصرية ، بل نجح ايضا فى تهريب (الشيخ دياب) نفسة من سجون الاحتلال بمساعدة الشاب الفلسطينى (مسعود) واستطاع اخراجة الى الحدود اللبنانية ومنها الى مصر ، وكيف نجح فى كشف العميلة المصرية المزروعة فى الموساد (نورهان) وتواصل معها لكى تصلة بالمخابرات المصرية وخاصة بعد ان علم بحقيقة والدة رجل المخابرات الاسبق (أشرف صبحى) ، ولكن القدر لم يمهلة فلقد نجح الموساد هو الاخر فى كشف (نورهان) الملقبة (بمحاربة الصحراء) واحاطوا منزلها فى

اللحظة التى كان معها (ليان) ونجح فى الهروب هو و (نورهان) واستمرت المطاردات فى شوارع (تل ابيب) ، وكيف قامت المخابرات بتعيين السيد (خيرى) خبير التزيف الاول مرة اخرى للعمل بالمخابرات وكيف علم (خيرى) منه هو شخصيا ، وايضا حينما اجتمعوا مع (الشيخ دياب) وابنته (زينة) وروى لهم كل التفاصيل ، وطلب منه طلب غريب لم يتوقعة ابدا ، طلب منه ان يذهب الى (اسرائيل) لمقابلة (ليان) او (أسر) لسببين اولهم انه الاقرب لابية وسوف يكون هذا بمثابة داعم نفسى كبير (لليان) ويعلمة ان المخابرات المصرية لا تترك ابنائها ، والسبب الاخر ان يتاكد من نواياه وحقيقة شخصيتة ، وبالفعل وصل (خيرى) الى مطار (تل ابيب) وفى نفس التوقيت تقريبا كان (ليان) فى موقف صعب هو (ونورهان) حيث اعلنت الموساد عن شخصيتهم وانهم ارهابيين مطلوبين على كافة وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعى ،

وبالفعل تعرف عليهم رواد احدى المولات اثناء انتظارهم (لمسعود) ونجح فى تهريب (نورهان) و (مسعود) فى احدى السيارات الكهربائية بعد ان نجح فى اختراق الحاسوب الخاص بها ، مجاولا كسب بعض الوقت لهم للهروب ، ولكن بمجرد خروجهم من مرآب السيارت الخاص بالمول حتى فؤجى (ليان) بعدد من رجال الامن يحيط به ، وحدث قتال بينه وبينهم ولكن الكثرة تغلب الشجاعة ، ونجحوا فى صعق (ليان) بالصواعق الكهربائية أكثر من مرة وسقط ليان فاقدا الوعى بين يدى الف عدو ، وافاق (ليان) ليجد نفسه فى إحدى سيارات احتجاز الشرطة ، ونجح بطريقة عبقرية أن يخرج منها وبفضل ذكائه وعبقريته ، و ظهر له مقاتل متشح بالسواد يمتطي دراجة نارية اتى لمساعدته وبعد مطاردة رهيبة فى شوارع (تل ابيب) كانت المفاجأة من نصيبه حيث اتضح له أن ذلك المقاتل المتشح بالسواد والذى ساعدة هو فى الحقيقة فتاة فلسطينية فائقة الجمال

، عنيدة ، صعبة المراس تملك روح مقاتل اسمها (آية علاء) وتعمل مع المخابرات المصرية ، وفي نفس الأثناء نجحت (نورهان) فى إقناع (مسعود) بالعودة لإنقاذ (ليان) ولكنهم فوجئوا بوجود كمين للعدو الصهيوني أمامهم ، حاولوا الهروب ولكن فجأة ظهرت طائرات العدو أمامهم ، وحاول مسعود الهروب بين المنحدرات الجبلية ، ولكن صاروخ موجه أطلقته الطائرة أصاب السيارة ، وحولها الى أشلاء ، وفى نفس التوقيت تقريبا كانت تدور معركة رهيبة بين (ليان) ومعه (اية) من جهة وقوات التدخل السريع الإسرائيلية من جهة أخرى ، ونجحت (اية) بالهروب بالدراجة النارية وهو من خلفها الى إحدى المولات التجارية ، وتم حصارهم ، وبخطة مجنونة نجح (ليان) بقطع التيار الكهربائى ، واشعال النيران لتشتيت العدو ، وكسر احدى الواجهات الزجاجية

وانطلقت (اية) بالدراجة النارية وخلفها (ليان) ممسكا بها وقفزت بالدراجة من الدور الرابع الى احدى المباني القريبة ، وطارت الدراجة في الهواء كأنها طائر عملاق براكبيها ، ولكن للأسف حدث ما كانت تخشاه ، الوزن الزائد ، وبدأت مرحلة الهبوط قبل الوصول إلى المبنى المنشود ، ولكن سرعة رد فعل (ليان) استطاع أن يمسك (باية) وقفز من الدراجة النارية قبل سقوطها ، وتمسك بجزء من الجدار ونجحا معا فى تخطى القوات التى حاصرتهم ، بل والهروب من المنطقة بالكامل والاحتماء في أحد المنازل الآمنة التابعة للمخابرات المصرية ، وفى نفس الوقت كانت (نورهان) تحارب وتجاهد من اجل انقاذ (مسعود) الذي فقد الكثير من الدماء ، وفقد وعية ، ونجحت بالفعل فى حملة حتى عثر عليهم احد مقاتلين قطاع غزة وادخلهم الى القطاع عن طريق الأنفاق وادخاله مستشفى بيت لاهيا لتلقي الاسعافات اللازمة ، وفى نفس الوقت تقريبا كان الثعلب (يؤسى

) يلقي القبض على (خيرى) ويحقق معه في مبنى (الموساد) ، وأرسلت المخابرات المصرية المعلومات كلها الى (اية) و (ليان) لوضع خطة لتحرير (خيرى) وفجأة حدث ما لم يتوقعه احد ..

ظهر شخص غريب ، ونجح فى إخراج (خيرى) من مبنى الموساد ، وخلع القناع الذي يغطي ملامحه ، وكانت المفاجأة من نصيب (خيرى) ، فقد كان صديق عمره ، (اشرف صبحى). الأحداث الاخيرة لم يكن يعلمها السيد مدير المخابرات ، ولكن حدث تطور رهيب بعدها ، فلقد حدث هجوم للمقاومة الفلسطينية المسلحة ، على الكيان الصهيوني بالكامل ، وانطلق زخم من الصواريخ مخترقة كل المناطق المتاخمة والملاصقة للحدود مع قطاع غزة حتى وصلت الى تل أبيب ، وبدأت الحرب ، واشتعلت إسرائيل بالكامل مع دخول الآلاف من عناصر المقاومة الفلسطينية الى الأراضي المحتلة ، وانطلق هو و(اية)

الى القطاع ، وايضا انطلق (اشرف) مع (خيرى) إلى هناك ، وفى تلك الاثناء ضرب العدو الصهيوني بالطيران شمال قطاع غزة ، وتم استهداف مستشفى (بيت لاهية) التي بها (مسعود) و (نورهان) ، وهرب جميع من كان بها ، ولكن (نورهان) لم تهرب وتترك (مسعود) وتحركت به بين الطرقات والقصف ينهال على المستشفى ، حتى وصلت للمصعد ، وبمجرد أن أدخلت جسد (مسعود) المسجى على فراش متحرك ، حتى أصابت قذيفة المستشفى مكان تواجد المصعد وسقط المصعد وانهالت الأتربة والركام ودفنوا تحتها ، ووصل (اشرف) و (خيرى) ونجحا في العبور ، وايضا (ليان) و (اية) ولكن لحظهم العاثر تم رصدهم من مدرعة للعدو الصهيوني ، واطلقت عليهم نيرانها ، وهبطت مجموعة من الجنود لاستهداف (ليان) و(اية) ودارت معركة بينهم ، انتهت باطلاق مجند اسرائيلى

الرصاص تجاة (ليان) وهو يهرب ، وانطلقت الرصاصات القاتلة تحصد الهدف ، ويسقط جثة هامدة .

أفاق السيد مدير المخابرات من شرودة ، واعتدل فى مقعدة ، ونظر الى شاشة جاسوبه ، وفتح ملف خاص باخر مستجدات الوضع ، ولكن عقله ظل منشغلا بما يحدث هناك .

فى القطاع ..

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

الفصل الثانى

- ليااااااااان

صرخت (زينة) باسمه وهي تعتدل على الفراش فجأة ، فأتى ابيها مسرعا على صرختها ، وفتح باب الغرفة ، ونظر اليها وهى تبكى ، وقام بضمها الى صدرة ، حتى يهدى من روعها .

- اهدائي يا بنتى ...اهدائى ، انه حلما فقط .

هزت راسها بالنفي وهي تقول

- لا يا أبى لم اشعر انه حلم ، لقد كان حقيقة مرة ، اشعر ان (ليان) فى خطر ، وخطر كبير ، فمنذ أن بدأت الأحداث ، منذ الفجر ، وانا لا اشعر بالارتياح ، وأشعر أن (ليان) هناك وأنه فى خطر حقيقى .

قام بالربط على كتفها ، محاولا أن يشعرها بالأمان وقال

- اطمئني يا ابنتي (ليان) هناك في الشمال من الأراضي المحتلة ، ولكن الان الحرب كلها تدور فى الجنوب على الحدود مع قطاع غزة ، فما الذى يجعله يذهب إلى هناك.

صمتت تستمع إليه ولكلامه ، وإجابته

- معك حق يا ابى ، ولكنى اشعر انه هناك ، لا اعلم السبب ، ولكن قلبى يحدثنى انه هناك فى وسط تلك الحرب .

قام من على طرف الفراش وهو يجذبها من يدها ، قائلا

- هى لن نقضى اليوم على الفراش يا ابنتي ، يجب أن نتابع الاخبار ، ونحاول ان نتواصل مع الاقرباء والأصدقاء للاطمئنان عليهم وعلى ذويهم في وسط تلك الحرب الشعواء التي يقوم بها المحتل على قطاع غزة ،

واطمنى انا متاكد تماما ان (ليان) بعيد كل البعد عن تلك الحرب تماما .

قالها و خرجا معا من الغرفة ، ليتابع الأحداث والأخبار ، قالها ولم يدرك كم هو على خطأ ، وان (ليان) هناك بالفعل ، وفى خطر حقيقى ..

خطر قاتل ..

****

- لا تقتل ... إلا فى الضرورة القصوى فقط

دوت تلك الكلمة في أذن (اشرف) بصوت ابيه (صبحى) رجل المخابرات الملقب بقلب الاسد ، تذكر كلمات ابية له ، لا تسفك الدماء ابدا يا ولدى .

سلسلة روايات للكاتب مايكل يوسف

عاش حياته كلها يكره سفك الدماء ، كان يشعر بمرارة وألم شديد عندما يجبر فى لحظة على قتل اي انسان ، حتى ولو كان للدفاع عن حياتة الشخصية .

ولكن تلك المرة ، يدافع عن ابنه الوحيد (أسر) ، لم يشعر بنفسه أو ما حدث ، فكل شيء حدث بسرعة رهيبة ، كان الجندي الاسرائيلي يوجه بندقيته الآلية صوب (ليان) ويضغط الزناد والاخير يهرب بعد أن أسقط ثلاثة جنود ، وهنا تحرك (أشرف) بسرعة رهيبة لم تتأثر بعامل الزمن ، وأخرج مسدسه من غمده أسفل إبطه الأيسر ، وأطلق رصاصة واحدة .

كانت كافية ، ليسقط الجندي الاسرائيلي بعدها صريعاً دون ان ينطق ، وقبل أن تنطلق رصاصة واحدة من بندقيتة الآلية .

ومع دوي الرصاصة ، وسقوط الجندى ، التفت (ليان) و (اية) معا تجاه مكان انطلاقها ، ووقع بصرهم على (أشرف) ومعه (خيرى) .

كان ذلك الجندي هو آخر الجنود ، والبقية كانت فاقدين وعيهم أرضا ، اشار (اشرف) الي (ليان) و (اية) بالاقتراب منهم خلف تلك المباني المتهدمة .

وبالفعل تحرك الاثنين معا بسرعة حتى وصلا الى مكان (اشرف) و(خيرى) وتواري خلف أحد الجدران المتهدمة ، وانتظرا لبعض الوقت حتى يتأكدوا أن ليس هناك جنود اخرين ، واشار لهم (اشرف) بيده لاتباعه ، وسار موازيا للمبانى المتهدمة وخلفة ثلاثتهم ، حتى ابتعدا قليلا عن موقع المعركة التي دارت بينهم وبين الجنود .

راى (اشرف) احدى المنازل التي تعرضت للقصف ولكنه كان مازال يحتفظ بكيانه ، فأشار لهم بالدخول الية .

وما ان دخلا حتى أغلق بابه خلفهم واقترب من إحدى النوافذ ينظر الى الخارج ليستكشف الوضع .

وعاد إليهم ، وفى تلك اللحظة اقتربت (اية) من (خيرى) متسائلة .

- من انتم ؟ ولماذا ساعدتمونا

اجابها (خيرى) وهو يمد يده مصافحا

- (خيرى احمد) من المخابرات العامة المصرية ، وانت (اية) أليس كذلك ؟

هزت راسها واجابته

- انت المندوب الذي كان من المفترض ان نتقابل ، ولكنك تعرضت للاعتقال من قبل الموساد .

اجابة

- نعم

وتابع وهو ينظر إلى (اشرف) قائلا

- وهذا سيادة العميد (ا.....)

قاطعه (اشرف) مكملا حديثه

سلسلة روايات للكاتب مايكل يوسف

- العميد (احمد صدقى) المخابرات العامة المصرية

ونظر تجاه (ليان) وقال

- وانت (ليان) أليس كذلك

هز ليان راسة بالايجاب ، وهو يتفحص ملامح (اشرف) ، لقد شعر أنه يعرفه من قبل ، ملامحه ليست بالغريبة عليه ، فمد يده مصافحا .

توقف الزمن بالنسبة (لاشرف) مشاعر غريبة وكثيرة مرت به.

ولكنه اخيرا مد يده مصافحا هو الآخر .

شعر بيد (ليان) بين يديه لأول مرة ، أراد لو احتضنه بين ذراعيه ، واخبره انه أبيه ، لكنه فضل الصمت .

تلاقت اعينهم لثوانى ، ومعها انتابهم شعور غريب .

شعر (ليان) بالالفة ، وشعر (اشرف) بالحنين .

أخرجهم من تلك المشاعر ، دموع (خيرى) ، التفت ثلاثتهم الية ، فشعر بالحرج ، وتاسف لهم قائلا .

- عذرا فلقد تعرضت الى ضغوط نفسية كثيرة آخر ثمان وأربعون ساعة فكنت بحاجة الى اخراج كل تلك الانفعالات .

ترك (اشرف) يد (ليان) وتحرك تجاه (خيرى) وربط على كتفه وهو ينظر في عينيه قائلا .

- تشجع يا صديقى ، فما زال أمامنا الكثير حتى نعود إلى أرض الوطن .

والتفت إليهم كلهم وتابع حديثة .

- والآن يجب أن نتحرك معا ، ولكن وفق خطة ، فالتحرك العشوائي الآن لن يكون مفيدا ابدا وخاصة مع بداية القصف الاسرائيلي لقطاع غزة .

وأشار لهم بالجلوس حول منضدة صغيرة فى احدى الاركان وجلس معهم وتابع حديثه قائلا .

- اولا يجب ان ننقذ زميلتكم (نورهان) ومعها (مسعود) ، فلقد انقطعت اخبارهم وفقا للمعلومات التي وصلت الى السيد (خيرى) مؤخرا ، وبعدها نتحرك جميعا الى جنوب القطاع ، تجاه معبر رفح ، ومن هناك ستتولى السلطات المصرية مهمة عبورنا الى الاراضى المصرية .

وأتم حديثه ، وأخرج هاتفه المحمول ، وفتح تطبيق الخرائط ، وقام بعرض خريطة للمنطقة عليهم واشار الى نقطة محددة وهي مستشفى (بيت لاهية) وقال لهم .

- هذه هي وجهتنا الآن .
- سنتحرك معا فى خط واحد خلف بعضنا البعض ، ليس هناك اى تحركات عشوائية لاى سبب ، اول الخط

ساكون انا ، يليني السيد (خيرى) ثم (اية) واخيرا (ليان) .

قالها ونظر الى (ليان) وقال

- ستتولى أنت حماية المؤخرة .

وعاد ونظر لهم جميعا وقال

- الوضع صعب جدا ، فالعدو الان فى حالة هياج كامل ، مثل الاسد الجريح ، فسوف يتحرك بتخبط وعشوائية ، وسيوجه ضربات كثيفة الى عدة اماكن بالقطاع ، ويجب أن نستغل تلك الفرصة من التخبط بين قوات العدو ، في التحرك قبل ان يستعيد رباط جأشه .

وتابع

- هيا على بركة الله

وتحركوا جميعا مغادرين ذلك المنزل ، وساروا وفقا للخطة ، باتجاه مكان (نورهان) و (مسعود) ..

سلسلة الجريمة للكاتب ميكل يوسف

ولكنهم كانوا غير مدركين ما بانتظارهم ..

وحجم الخطر المحيط بهم ..

خطر قاتل ..

سلسلة الوريث للكاتب مايكل يوسف

الفصل الثالث

ظلام حالك ، هداء كل شئ تماما بعد ان انهالت الاتربة على المصعد الذي صمد تحت أطنان من الركام من مبنى المستشفى ، حاولت التحرك بهدوء ، حتى لا تتسبب فى اى تحرك لجسم المصعد ، أو سقوط المزيد من الاتربة والركام عليهم ، اقتربت من جسد (مسعود) الموضوع على الفراش المتحرك الخاص بالمشفى ، واخذت تتفحصه ، وتتأكد من مؤشراته الحيوية ، كان نفسه منتظم ودقات قلبه ايضا ، ظلت تنفض الاتربة عن جسده المسجى ، وقامت بتثبيتة جيدة فى الحوامل الجانبية للفراش .

اخرجت هاتفها المحمول من جيب بنطالها الخلفي ، وبالطبع لم تكن هناك تغطية بعد ذلك القصف وايضا بسبب أطنان الركام وجسم المصعد المعدنى .

كانت الساعة تشير فى شاشة هاتفها الى الثامنة مساءا أى أنها فى هذا الوضع منذ ما يقرب من عشرة ساعات ، ظهر الجزع على ملامحها ، أدركت فداحة الأمر .

الى متى تستطيع أن تصمد فى هذا القبر المعدنى ؟

تردد هذا السؤال في عقلها ، وندرت الى جسد (مسعود) وقالت بصوت مسموع .

- بل إلى متى ستصمد انت يا صديقى ؟

اقتربت من جدران المصعد ، وأضاءت كشاف هاتفها المحمول ، وظلت تتفحصها شبر شبر ، ولكن دون امل .

اقتربت من درفتى باب المصعد ، وحاولت أن تحركهم جانبا ، ولكن دون جدوى ، فالمصعد انقطع عنه التيار الكهربائي تماما ، وضغط الركام على جسم المصعد يجع الامر مستحيل ان تنجح فى فتح الباب .

- يبدوا انها النهاية .

قالتها وارتمت ارضا فى ياس ..

وتساقطت دموعها لتغرق وجهها ..

فلاول مرة تشعر باليأس التام ..

وشعرت فى حلقها بطعم مرير ..

طعم الهزيمة المرة ..

****

تحرك الاربعة بهدوء وسط ركام وحطام المنازل ، كان يتقدمهم (اشرف) وخلفة (خيرى) تلية (اية) واخيرا (ليان) لحماية المؤخرة ، وصلا اخيرا الى قرب المنطقة التي تعرضت للقصف وكان بها المشفى .

وقفوا جميعا صامتين من بشاعة المنظر ، فلقد تهدم نصف المشفى تقريبا تماما ، وأغلب المنازل والمباني المحيطة له .

وكان هناك بعضا من رجال الحماية المدنية يقومون بالبحث عن ناجين اسفل الانقاض ، اقتربت (اية) من أحدهم وسألته قائلة

- هل من ناجين ؟

هز راسه بالنفي وقال

- للاسف حتى الان لم نعثر على أي ناجين ، جثث فقط

واشار بيده الى منطقة قريبة تراصت بها الأجسام التي انتشلوها من اسفل الانقاض في وكل جثمان ملفوف فى قماش ابيض يغلفه بالكامل .

عادت (اية) إليهم وشرحت لهم ما قال ، فتحركوا تجاه الجثامين المتراصة ، واقترب (ليان) وشرع فى فتح جثمان جثمان ويتفحص ملامحهم ، كانت مشاهد تعتصر قلبة ، ولكنه مع كل جثمان يكشف وجهه ، يتعالى الأمل بداخله اكثر واكثر انهم مازالوا أحياء .

وعاد الى باقى الفريق ، وهز راسه بالنفي وهو يقول

- ليسوا من ضمن الضحايا ، هناك امل انهم مازالوا هناك اسفل الانقاض أحياء باذن الله .

امسك (اشرف) ذقنه مفكرا فيما يقول (أسر) ونظر بعينه تجاه الحطام والركام ، كان يقوم بفحص الأمر جيدا فى عقلة ونظر الى ساعة يده وقال ، يستحسن أن نتحرك سريعا ونساعد رجال الإنقاذ فقد مر وقت طويل جدا على وجودهم أسفل أنقاض المشفى ، وكل دقيقة تمر تقل فرص العثور عليهم أحياء .

وما أن أنهى حديثة حتى تحركوا جميعا ، وشرع كل واحدا منهم يساعد رجال الحماية المدنية فى عملية البحث تحت الأنقاض ، كان العمل يتم بهدوء وبدون معدات ثقيلة ، فالأعمال تتم يدويا خوفا من رصد قوات العدو الصهيوني لهم واستهدافهم ، مرت أكثر من ساعة دون جدوى .

كاد اليأس أن يدب فى قلوبهم ، ولكن كان عقل (ليان) يعمل سريعا ، يحاول ان يبحث عن حلول لتلك المشكلة .

وبالفعل فجأة توقف ونظر تجاه (اية) وقال .

- اعتقد انى قد اجد حل لتحديد مكانهم بدقة

توقفوا ثلاثتهم عن العمل واقتربوا منه ، متسائلين عما يفكر به .

ولكنه لم يتحدث بل أخرج هاتفه المحمول ، وشرع يعمل بأصابعه على شاشاته ، اقتربت منه (اية) وسألته

- بماذا تفكر ؟ وماذا تفعل ؟

نظر اليها وقال

- الهواتف الحديثة تمتلك خاصية للتواصل تسمى (NFC) او اتصال المدى القريب وهى تعتمد على التلامس لنقل البيانات .

نظرت له بحيرة وقالت .

وكيف لك ان تستخدمها بدون تلامس مع هاتف اخر ، ابتسم وأجابها .

- التلامس فقط يا صديقتى عند بدا نقل البيانات او الملفات ، ولكن البحث عن هاتف آخر يمكن من مسافة اكبر من عشرة امتار وحتى فى وجود حواجز .

نظرت له فى انبهار ، ولكنه لم يترك لها فرصة بل تقدم من احدى البقاع المتهدمة من المشفى ، وشرع يحرك هاتفة يمينا ويسارا وثلاثتهم يتابعون ما يقوم به ، مرت حوالى عشر دقائق وهو يتحرك فى اتجاه ثابت حتى يتأكد أنه لم يترك مساحة من الأنقاض إلا وقد فحصها تماما .

وفجأة رفع رأسه وأشار إليهم قائلا

اعتقد اني عثرت على إشارة لوجود هاتف محمول اسف تلك المنطقة وعلى عمق حوالي المترين .

تحركوا جميعا ومعهم رجال الإنقاذ وشرعوا فى رفع الركام عن تلك المنطقة ، وبالفعل ظهر جسم المصعد المعدنى أسفل الأنقاض التى نجحوا فى ازالتها .

وتقدم (ليان) من جسم المصعد المعدنى ، وقام بالنقر ثلاث مرات متتالية على سطحه المعدني ، والصق بعدة اذنة على سطحه واخذ يستمع جيدا وهو يشير لمن حوله بالهدوء .

وأعاد الكرة مرة اخرى بتتابع نقرات مختلف ، وفى تلك اللحظة ابتسم (اشرف) فلقد فهم ما يفعل ، انه يستخدم شفرة (موريس) عن طريق النقر على سطح المصعد المعدنى .

واخيرا اعتدل (ليان) وقال لهم

- انها نورهان ومعها (مسعد) ولكنه فى غيبوبة ، وهى منهكة القوى تماما ، ولكنهم بخير .

أنهى حديثه وشرعوا جميعا فى قطع السطح المعدني باستخدام بعض المعدات اليدوية البدائية ، وبالفعل نجحوا في صنع ثقب متوسط يكفي لعبور الهواء ، ومد (ليان) يدة داخل الثقب الذى صنعوه وهو يحمل هاتفه بين يدية ، واشعل الكشاف الخاص بة ،

وراها تميل بجذعها على جسد (مسعود) لتحميه من الأتربة التى تساقطت بفعل محاولاتهم لثقب السطح المعدنى للمصعد .

واعطى احد رجال الانقاذ الى ليان بعض الاقمشة البيضاء لتستخدمها (نورهان) وتغطي نفسها وجسد (مسعود) بها حتى تقيهم من الاتربة والرمال التي تتساقط عليهم مع كل حركة أو اهتزاز ، وشرعوا فى إكمال عملهم ، فى توسيع الفتحة التي صنعوها ، حتى يتمكنوا من إخراجهم .

ومر الوقت ونجحوا اخير فى توسيع الفتحة حتى يستطيعوا اخراجهم منها ، ومد (ليان) يدة الى (نورهان حتى تمسك به وتتعلق بذراعه ، وبالفعل امسكت بدية وقام (ليان) برفعها وساعده فى ذلك جسدها النحيل .

وخرجت (نورهان) وألقت نفسها ارضا ، وهي لا تصدق أنها قد نجت ، واقتربت منها (اية) تساعدها على ان تلتقط انفاسها وتهدئ من روعها ، وفى نفس الوقت هبط احد رجال الانقاذ

والذي كان انحف المتواجدين واخفهم وزنا ، وكان يمسك ببعض الحبال ، وقام برفع جسد (مسعود) بعد أن أحكم الحبل حول جسده وتعاون الباقين خارجا على اصعادة ، ونجحوا فى اخراجه ، ولكن لم يكاد يلامس جسده الارض .

حتى دوى صوت أزيز حولهم .

أزيز ادركوا كنهه سريعا.

أزيز طائرات الاستطلاع الخاصة بالكيان الصهيوني .

وفجأة ظهرت الطائرة فوقهم مباشرة .

وتحرك خيط الليزر فى مقدمتها حتى سقط على الارض تحت اقدامهم ..

وقبل حتى أن يتحرك أحدهم ..

انطلق صاروخ ..

تجاههم ..

صاروح قاتل ..

الفصل الرابع

تعالى صوت الطرقات على باب غرفة المكتب الخاص بالسيد مدير المخابرات ، كان السيد مدير المخابرات منهمكا في مطالعة شاشة حاسوبه يتابع التقارير التي ترد من كل مكان ، والخاصة بالحرب على قطاع غزة ، اعتدل ونظر وأشار للطارق بالدخول .

كان (مراد) مدير مكتبه الخاص ، يحمل تقريرا جديدا لا يحتمل التأخير .

- لقد تم التواصل مع رجالنا بالقطاع يا سيدى ، والمعلومات الواردة حتى الآن لا تطمئن ابدا

صمت قليلا وتابع .

- لقد تم رصد تحرك كبير جدا لقوات العدو ، بطول الحدود الشمالية لقطاع غزة وايضا الحدود الشرقية

الخاصة بغلاف غزة ، وليس هذا فحسب ، ولكن تم تحريك حاملة طائرات أمريكية والتى كانت قابعة فى البحر الأبيض المتوسط قرب مضيق جبل طارق ،إلى الحدود البحرية للقطاع ، وايضا عدد من القطع البحرية الإسرائيلية .

قال هذا ووقف صامتا ، انتظاراً لتعليمات السيد مدير المخابرات ، الذى ايضا ظل صامتا بدوره يفكر فى كل كلم اتت فى التقرير ، واخيرا قال (لمراد)

- اذا كما توقع الخبراء ، هى حرب إبادة ، وخاصة بعد الدعم الأمريكي لمخططاتهم ، حسنا ، هل من اخبار عن رجالنا هناك ؟

هز (مراد) رأسه وأجاب

- حتى الان لا يا سيدي ، لم ترد أى معلومات جديدة حتى الآن .

ضم السيد مدير المخابرات كفيه أمام وجهه مفكرا ، واشار ل(مراد) بالانصراف ، وهو يفكر فى كل ما حدث ، ووضع رجاله هناك الآن فى القطاع .

كان يدرك جيدا حجم الخطر المحيط بهم ، وما ينوي العدو الصهيوني فعله بكامل القطاع ، حاول جاهدا ان يعتصر ذهنه للبحث عن حلول توقف تلك الحرب الدموية ، او على الاقل تمنع سقوط الآلاف بل الملايين من الأبرياء .

ولكنه لم يستطع ان يصل الى حل ، فترك الامر برمته ، وعاد مرة أخرى الى شاشة حاسوبه ، ونظر الى الصورة التى تتصدر الملف الذي يطالعه ..

صورة لشاب صغير في العمر ..

وسيم الملامح ..

صورة (ليان) ..

****

لم يتحرك أحد منهم ، وكانت المفاجأة رهيبة ، وانطلق الصاروخ أصاب هدفه تماما ، ولكن لم ينطلق الصاروخ من الطائرة بل إليها ، فلقد انطلق صاروخ صغير المحمول على الكتف ، من خلف احدى المنازل المتهدمة ، تجاه الطائرة ، وأصابها و حولها الى اشلاء متناثرة ، مما جعلهم يحمون وجوههم من الشظايا المتطايرة من حطامها ،و نظر الجميع تجاه مصدر انطلاق الصاروخ ، وظهر اثنين من جنود المقاولة الفلسطينة ، بملابسهم السوداء والقناع الاسود الذى يخفى ملامحهم ، وتقدموا منهم ليطمئنوا عليهم ، واشار احدهم إليهم قائلا .

- هل انتم بخير ، هيا لنتحرك سريعا ، فما حدث للمسيرة الخاصة بالعدو قد وصل صداه سريعا فهي يتم التحكم بها عن طريق أحد الأفراد الجالسين خلف شاشة حاسوب متصل بها ، وما هي إلا دقائق قليلة حتى نجد

درزانة كاملة من جنود الصهاينة تحيط بالمكان بالكامل ، وتقلبة رأسا على عقب .

تحركوا جميعا بسرعة وتحرك معهم الجنديين ورجال الحماية المدنية الذين كانوا في الموقع وتعاونوا جميعا فى حمل جسد (مسعود) على محافة طبية خفيفة ، وأمسكت (اية) بجسد (نورهان) تساعدها على التحرك ، وانطلقوا جميعا بين حطام المنازل المتهدمة ، وساروا يتبعوا جنود المقاومة الذين كانوا يسيروا بخفة ورشاقة بين الحطام ، وكأنهم اعتادوا الأمر تماما بحيث أصبحت حياتهم على نفس المنوال بين الحطام .

وبالفعل لم تمض دقائق قليلة حتى انطلق تجاههم وابل من الطلقات ، مما جعلهم يختبئون خلف احدى المنازل المتهدمة ، اتقاءا الرصاص المتطاير حولهم ، وهنا أشار (اشرف) بحركة لا يفهما الا الجنود الى جنود المقاومة بما تفيد أن يتفحصا قوات العدو ، ويرصدا تحركاته وعدده ومعداته ، وأدرك

الجنديان انه جندى او مقاتل سابق او احد الرتب العسكرية الكبيرة باحدى الجيوش العربية ، وبالفعل تحرك الاثنين معا احدهم ذهب يسارا والاخر الى جهة اليمين ، وعادا بعد حوالى خمس دقائق بكل ما استطاعوا رصده من قوات العدو .

- انهم تقريبا فرقة مكونة من عشرة جنود مشاة ، ومعهم قائدهم يجلس فى مدرعة تتبعهم ، يعلوها مدفع ثقيل .

كان (اشرف) يستمع لهم باهتمام ، وامسك باحدى العصى الملقة ارضا وقام برسم كروكي للمكان على الأرض ، وقال

- حسنا لدينا حوالى ثلاثة عشر جندي للعدو بحساب قائد المدرعة ، والاهم هو التخلص من المدفع الثقيل ، ونظر تجاه (خيري) قائلا ، أنت تتولى حماية (نورهان) و (مسعود) ومعك رجال الحماية المدنية ، عليكم التحرك مباشرة وبسرعة فى اتجاه الجنوب بمجرد أن نشتبك مع الجنود ، والتفت إلى (ليان) و (اية) وقال بلهجة

عسكرية حازمة ، اما انتم الاثنين فتتلون الجهة اليسرى من ذلك المنزل الذى نحتمى به ، وأشار للجنديين الفلسطينيين وانتم الجهة اليمنى ، ولكن لا تتحركوا إلا مع اشارة منى .

قالها وتحرك سريعا بخفة لا تتناسب ابدا مع سنوات عمره التى تجاوزت الستين ، وتسلق أحد كتل الركام المتناثرة واختفى عن انظارهم ، وتحرك كل واحد منهم إلى موضوع الاتفاق ، وظلوا صامتين انتظاراً لاشارة (اشرف) .

كان (اشرف) قد وصل الى نقطة قريبة من تمركز الجنود الإسرائيليين ، فتوارى خلف جزء من منزل متهدم ، وأخرج رأسه قليلا لفحص المنطقة عن قرب .

كان جنود جيش الاحتلال ، يفحصون المنطقة بالكامل وهم يتحركون فى شكل قوس ، منعا لعمليات الصيد والقنص للجنود ، وأدرك (اشرف) انه لابد ان يبدأ من احدى الاطراف ،

وسريعا قرر أن يبدأ بأول الجنود من جهة اليسار بعيدا عن المدرعة .

وبالفعل انسل بهدوء حتى اقترب من اول الجنود ، واقترب منه حتى أصبح خلفه تماما ، كان يمكنه ان يقضى عليه أو يباغته من الخلف ، ولكنه ليس ما تربى عليه وليس من معتقداته ، كان يقف خلف الجندى مباشرة ، وربط بيده على كتفه مما جعل الجندى يلتفت له بغتة فعاجلة بلكمه كالقنبلة فى فكة ، اسقطته دون ان يصدر صوتا ، وتلقاه على ذراعه حتى لا يسقط ، وقام بسحبه خلف احد الكتل الاسمنتية ، وأخذ سلاحة ، وخرج من مخبئه ، وصرخ

- الان

ومع صرخته ، التفت اليه جنود جيش الاحتلال ووجهوا أسلحتهم إليه ، وانطلقت الرصاصات فى كل اتجاه .

وظهر المقاتلين الفلسطينيين من خلفهم وايضا (ليان) و (اية) من الجهة الأخرى .

وتحرك (خيرى) ونورهان ورجال الحماية المدنية مسرعين باتجاه الجنوب فى نفس اللحظة حاملين جسد (مسعود).

وحدث ما اراد (اشرف) تماما ، فلقد حدثت بلبلة وتشتت بين جنود جيش الاحتلال ، واستغلوا هم ذلك التشتت والتخبط ، فما كان الا ان اسرع (اشرف) بتصويب السلاح الآلى الذى أخذه من الجندي الذي أفقده الوعى تجاه المدرعة وخاصة الجندى الذى يتحكم فى المدفع الثقيل ، وأطلق رصاصة واحدة كانت كفيلة ان تفقده حياته ويسقط بنصف جسده متدليا على المدفع .

وانطلق (اشرف) مسرعا تجاه المدرعة ، فى نفس اللحظة باغت (ليان) أحد الجنود وركلة ركلة عنيفة في رأسه وقبل أن يهبط أرضا كان قد استدار ولكم جندي آخر فى فكه ، جعلته يتراجع مترين للخلف ، أما (اية) فلقد انطلقت مسرعة تجاه أحد

الجنود وقفزت بقدميها معا فى احدى حركات رياضة الكونغو فو الشهيرة ، وارتطمت بصدره مما جعله يفقد توازنه ويسقط على زميل له .

وايضا قام المقاتلين الفلسطينيين بمهاجمة الجنود ودار بينهما صراع مرير ، حتى نجح أحد المقاتلين فى انتزاع سلاح أحد الجنود ، واطلق نيرانه تجاه الباقين من الجنود الاسرائيليين .

وفى نفس اللحظة وصل (اشرف) الى المدرعة ، وفتح بابها عنوة ، وامسك بقائد القوات وسحبه خارجا وهو يلكمه في فكه لكمه افقدته نصف اسنانه الامامية و أفقدته الوعى أيضا، ورفع سلاحة فى وجهه الجندى الذى يقود المدرعة الذى استسلم تماما ورفع ذراعيه عاليا ، وهبط من المدرعة وجثا على ركبتيه ، ونظر اشرف خلفة ليرى ماذا قد تم .

فوجد كل جنود جيش الاحتلال على الأرض قتلى، وكان (ليان) و (اية) والمقاتلين ينزعون من أجسادهم الأسلحة والذخائر ، فنظر تجاة المجند المتبقى وقال .

- اعذرنى

قالها وهو يضرب بظهر سلاحه الالى اسفل رقبته مما جعله يسقط فاقدا وعيه ، وهتف بهم (اشرف) أن يتحركوا سريعا .

وبالفعل ساروا جميعا متبعين خط سير (خيرى) وباقى من معه .

كان (اشرف) يدرك جيدا انه مسألة وقت ..

وان الوقت ليس فى صالحهم ..

ابدا ..

سلسلة الروايات للكاتب مايكل يوسف

- هل يمكن ان اسالك لماذا رفضت ان نستقل المدرعة بعد أن تخلصنا من جنود جيش الاحتلال ، على الاقل كانت يمكنها أن تختصر مسافة كبيرة ، بدلا من التحرك على الأقدام ؟

نطق تلك الجملة (خيرى) موجها حديثه إلى (اشرف) ، والذي اقترب من إذن (خيري) قائلا .

- لو كنا استقلناها ، ما استطعنا أن نظل بها اكثر من خمس دقائق يا صديقى .

وتابع حديثه وسط نظرات عدم فهم من (خيرى) ، فابتسم (اشرف) وتابع

- اولا كل المعدات الحديثة مربوطة بالقمر الصناعى ، وبمجرد تحركا بدون علم القيادة أو حسب خط سيرها

المحدد ، سوف يتم ابطالها او تدميرها بمن فيها ، فجيش العدو الصهيوني لن يسمح بسقوط معدة حديثة فى ايدى اعدائه ، ثانيا وهو المقاومة الفلسطينية يا صديقى ، لو تحركنا تجاة الجنوب بتلك المدرعة لكان تم قصفها من قبل قوات المقاومة الفلسطينة مباشرة ، وحتى قبل أن نتوغل لمسافة كيلومتر واحد في أراضي القطاع ، هل علمت الآن لماذا رفضت ان نتحرك بها ولو لمتر واحد.

كان (خيرى) ينظر له فاغرا فاه ، فقد أدرك الآن فقط حقيقة ما قالة (اشرف) ، وأدرك أنه على صواب ، فابتسم على استحياء وقال .

- لن تتوقف ابدا يا (اشرف) عن ابهارى بذكائك ، ورجاحة تفكيرك ، حسنا لنكمل المسير على الأقدام .

كانوا يسيرون فى ثلاثة مجموعات مقدمة وبها (اشرف) و (خيرى) ، و مؤخرة وبها (ليان) و (اية) وبالمنتصف

(نورهان) وأعضاء الحماية المدنية والمقاتلين الفلسطينيين و جسد (مسعود) الفاقد الوعي محمولا على المحافة الطبية .

وفجأة أشار (اشرف) بيده اليمنى بعلامة التوقف ، ويده اليسرى وضعها على فمه باشارة لهم بالصمت تماما ، وتحرك بهدوء الى احدى البيوت الصغيرة المتهدمة ، و أطل برأسه ينظر خلفه ، كان تمركز عسكرى لقوات الاحتلال ، وضعت معداتها وتمركزت كنقطة حصينة لهم فى تلك المنطقة ، حاول حصر القوة بالكامل ولكم من تلك المسافة كان صعب أن يرى كل الجنود والمعدات ، فعاد إلى باقى المجموعة وشرح لهم بصوت خفيض ما راء .

اشار له (ليان) أن يترك له تلك المهمة ولم يمهلهم وقت للاعتراض ، وتحرك بخفة و تسلق سور صغير برشاقة ومنه الى احدى النوافذ العلوية لمنزل قد خلى من ساكنية ، اتخذ (ليان) ركن قصى فى شرفة ذلك المنزل ورفع يده وهو يحمل هاتفة

المحمول والذى قد قام بضبطه على وضع التصوير فائق الجودة مع زاوية رؤية عريضة ، وظل على ذلك الوضع قرابة الدقيقتين وبعدها خفض يده ، وأعاد تشغيل ما سجله الهاتف ، وابتسم حينما أدرك نجاح خطته ، وعاد ادراجه سريعا للبقية .

كان (اشرف) ينظر إلى (ليان) وهو عائد وتلمع في عينيه نظر فخر .. وحب ..

خرج من شروده على صوت (ليان) وهو يعرض عليه ما سجله الهاتف ، تناول الهاتف منه ، وقام بفحص مقطع الفيديو أكثر من مرة ، وأخيرا أشار للبقية بالإقتراب ، وشرع يشرح لهم حجم التمركز الخاص بقوات العدو .

كانوا يملكون الأسلحة الشخصية التي قد استولوا عليها بعد القضاء على جنود جيش الاحتلال بجوار الحدود ، وهنا قاطعه أحد المقاتلين الفلسطينيين .

- نملك ايضا عبوتين ناسفتين ، والخاصة بالتعامل مع الدبابات او المدرعات .

إجابة (اشرف)

- اعتقد سوف نحتاج إليهم ، ولكن الان أنصتوا لى جيدا ، فما افكر به ، يحتاج الى ان يقوم كل فرد منا بدورة بمنتهى الاتقان .

وشرع يشرح لهم خطته بالتفصيل ، كان ذلك التمركز يتكون من دبابتين ، وحوالى عشرون جنديا ، ومدفع صغير متنقل على عجلات وهو خاص بالتعامل مع السيارات والدراجات النارية .

كانت الخطة باختصار هى تدمير احدى الدبابات القريبة والتى لو تعطلت عن الحركة فبذلك يكون قد تم سد الطريق والمنفذ الوحيد لباقى التمركز فى الخروج من تلك الرقعة ، وعند تلك النقطة أشارت (اية) بيدها مقاطعة ، فأعطاها (اشرف) الإذن بالكلام .

- اعتقد انى استطيع ان اوقفها .

نظر لها الجميع بشك ، فمع جسدها النحيل الضئيل كان من الصعب عليهم ان يثقوا فى قدراتها ، ولكن كان (لاشرف) راى اخر ، فنظر الى عينيها والى نظرة التحدى والثبات على الموقف بهما وقال .

- حسنا لك هذا .

ارتسمت ابتسامة نصر على وجهها ، وشرع (أشرف) فى سرد باقى التفاصيل ، كانت الخطة تعتمد على تمركز كل فرد فى نقطة بعيد عن الباقين ، وبمجرد أن تنجح (اية) فى تعطيل الدبابة ، تبدأ عملية القنص ، واطلاق النيران من اربعة اماكن مختلفة ، وذلك للمساعدة اكثر فى تشتيت قوات العدو والتخبط فيما بينهم ، ونظر لهم قائلا.

- على بركة الله .

وتحرك الجميع اتخذ (ليان) موقعا مرتفعا وهو يمسك بسلاح إلى ، وايضا (اشرف) فى نقطة بعيدة نسبيا ، وكذلك المقاتلين الفلسطينيين ، وتحرك باقى الأفراد ومعهم جسد (مسعود) الى ابعد نقطة عن أرض المعركة المحتملة ، واتخذوا من منزل نصف متهدم ساترا لهم .

وتحركت (اية) ، كانت قد أخذت من الاسعافات الخاصة بأحد رجال الحماية المدنية ، بعض الشاش الطبي ، وقداحة بخلاف مسدس شخصي صغير ، وتحركت بخفة قط إلى أقرب نقطة من الدبابة ، وما ان اقترب الى اقصى نقطة يمكنها الوصول لها على قدميها ، استلقت أرضا وقامت بالزحف حتى وصلت بالفعل الى جسم الدبابة ، سحبت جسدها برشاقة أسفل الدبابة حتى تتوارى عن الأنظار .

ابتسمت وقالت (ميركافا) مشيرة إلى نوع الدبابة اسرائيلية الصنع ، فلقد كان تعلم جيدا تصميم تلك الدبابة وتحفظه عن ظهر

قلب ، فلقد تعلمت منذ نعومة اظافرها ان تدرس كل تسليح ومعدات العدو الصهيوني من اجل تلك اللحظة .

كانت الدبابة (ميركافا) تم تعديلها بإضافة صفائح معدنية للحماية وعدم الوصول الى النقاط الحيوية بها ، ولكنها كانت تعلم كل هذا ، وتعلم أن محركها في الأمام عكس اغلب الدبابات ، وتعلم ايضا ان خزانات الوقود فى الخلف ، اسفل الصفائح المعدنية ، ومدت يدها وظلت تعبث بمؤخرة الدبابة فى مكان كانت تعلمه مسبقا ، حتى نجحت في فتح خزان الوقود الخاص بها ، وشرعت فى ادخال الشاش الطبي الذي أحضرته معها حتى لامس الوقود، وتركت باقى المهمة (للخاصية الشعرية) وبالفعل أنساب الوقود خارجا من خزانه عبر انسجة الشاش الطبى ، فقامت بفرد باقى لفافة الشاش إلى أبعد مسافة ممكنة ، ولم تمضي دقائق قليلة حتى أصبح الوقود يغطى الشاش بالكامل ، وهنا أشعلت القداحة التي أخذتها ووضعتها على طرف الشاش

الطبى ، الذى اشتعل بسرعة رهيبة وتحركت النيران مسرعة تجاه خزان الوقود ، وايضا (اية) اسرعت مبتعدة بمنتهى السرعة .

ودوى انفجار رهيب هز أرجاء المنطقة بالكامل ، وسادت حالة من الهرج والمرج بين افراد جنود جيش الاحتلال ، وهنا أطلق باقى الفريق نيرانه ..

واشتعلت الحرب بغتة ..

حرب بلا هواده ..

سلسلة الحرب للكاتب مايكل يوسف

الفصل السادس

كان موقف صعب ، لا يمكن بمقياس العقل او المنطق ان يكون فى صالح رجالنا ، ولكن منذ متى و المنطق او العقل هو المقياس بين الشجاعة والمقاومة والدفاع عن الحق أمام الكيان الصهيوني وجنوده .

انطلقت الرصاصات فى كل صوب واتجاه ، اربعة مقاتلين بتسليح خفيف ضد فرقة من جنود الاحتلال مدججين بكامل أسلحتهم ، وايضا دبابتين ومدفع ، ولكن هنا يظهر المعدن الحقيقي للرجال .

مع بداية الانفجار وانطلاق الرصاصات ، وحدث ما توقعه (اشرف) تماما لقد حدثت حالة من الهرج والمرج والتخبط بين جنود جيش الاحتلال ، وساعد ذلك في أن ينجح رجالنا فى تصفية نصفهم تقريبا قبل حتى أن يدركوا ما حدث .

ولكن مع الاستمرارية فى القتال نجح بعض الجنود في أن يتداركوا المفاجأة واستطاعوا أن يتمركزوا خلف سواتر تقيهم نيران رجالنا ، وهدأت حدة القتال ، بسبب التمركز من قبل جنود جيش الاحتلال ، وكان ذلك التمركز ليس فى صالح (اشرف) و الآخرين ، وأدرك هو هذا ، ولكن قبل أن يتحرك أو يغير من الخطة ، فوجئ بتحرك المدفع الخاص بالدبابة البعيدة ، وتغير احداثيات الإطلاق الخاصة بها ، واتسعت عيناه ، فقد وعى ما تنويه الدبابة المتبقية .

وفجأة فى وسط كل هذا ، تعالى صراخ من قبل أحد الجنديين الفلسطينيين للاخر

- (زيااااااد) الان

وقبل ان يدرك احد المغزى أو السبب من ذلك النداء ، تحرك الاخر وقفز من اعلى الجدار المتهدم الذى يحتمى به ، وعلق سلاحه خلف ظهره ، وانطلق فى وسط أرض المعركة راكضا

باتجاه الدبابة ولكن فى خط سير متعرج لا يسمح لأحد باقتناصة ، وكانت المفاجأة من نصيب جنود جيش الاحتلال ، وبالفعل قطع المسافة بسرعة رهيبة ، وهو يخرج العبوة الناسفة المعلقة فى سترته العسكرية ، وينزع فتيل الأمان الخاص بها ، ويقفز فى الهواء قفزة أسطورية ، اتسعت معها عيون الجميع ، وتوقف الزمن للحظات ، قبل أن يهبط على مقدمة الدبابة ، وهو يصرخ.

- الله اكبر .

قالها وهو يضرب مقدمة الدبابة بالعبوة الناسفة ، ودوى انفجار رهيب مزق جسدة الطاهر الى اشلاء صغيرة من الصعب جمعها وتناثرت دماؤه الزكية لمسافة شاسعة ومعها تدمر مدفع الدبابة تماما ، وتعطلت هى الاخرى .

وخيم الصمت على أرض المعركة ، ولم يقطعه إلا الجندى الفلسطينى المتبقى وهو يركض هو الآخر باتجاه المدفع الصغير ، واعتلاه مستغلا عامل المفاجأة لجنود جيش الاحتلال مما فعله

زميله ولحظة استشهاده ، وقام بتوجيه الدفع الى مكان اختباء جنود جيش الاحتلال ، وأطلق لطلقاتة العنان ، كان (اشرف) او من استطاع ان يخرج من الصدمة مما حدث ، وصرخ

- (ليان) (اية) .. الان

لم يكن الاثنين بحاجة الى هذا النداء ، فلم يكمل عبارته حتى انطلقت الرصاصات من بنادقهم الالية تحصد الباقين من جنود الاحتلال مع رصاصات المقاتل الفلسطيني الأخير ، الذى كان يجلس على ظهر المدفع الآلي المتحرك وكأنه فارس عربى على صهوة جوادة فى وسط ساحة المعركة ، ولكن كان للقدر رأي آخر ، فجأة انطلقت عدة رصاصات من احد جنود جيش الاحتلال كان قد انسل من مكمنه خلسة و استطاع الوصول خلق المقاتل الفلسطيني ، وأطلق رصاصات مدفعة الالى لتخترق جسد المقاتل الفلسطيني ، ليسقط مضرجا في دمائه وهو ينطق الشهادة .

وصرخت (اية) ، وخرجت من مكمنها وهي تصوب سلاحها تجاه ذلك الجندي الإسرائيلي ، وتطلق رصاصاتها هى الاخرى ، ليسقط صريعا .

ووقفت (اية) بعدها تنظر حولها ، وانهمرت الدموع من عينيها على ذاك المقاتلين الذين خضبت دمائهم الطاهرة أرض المعركة ، واستطاعا أن يقضيا لوحدهم تقريبا بمساعدتهم على فرقة كاملة لقوات الاحتلال ، اقترب منها (ليان) وربط على كتفها ، وشد على ساعدها ، محاولا ان يهدئ من انفعالاتها ، كان ذلك الجندي هو آخر الجنود الاحياء فى قوات الاحتلال ، وتقدم (اشرف) منهم وقال

- يجب أن نتحرك سريعا ، حتى لا تضيع تضحية هؤلاء الابطال هدرا ، يجب ان نصل باقصى سرعة الى معبر (رفح) ونلحق بالسيد (خيرى) و (نورهان) و (مسعود) .

مسحت (اية) دموعها التى غطت وجهها ، وسارت فى اتجاة الحدود ، وخلفها سار (ليان) وتبعة (اشرف) الذي استدار والقى نظرة اخيرة على جسد ذلك المقاتل الفلسطيني وهو يقول .

- ليرحمك الله ..

قالها واسرع للحاق بهم اجمعين ..

ومن داخله أدرك أن المعركة لم تنتهى ، وأن النصر حقا لقريب جدا ..

سلسلة الروائي للكاتب مايكل يوسف

الفصل السابع

عاد (خيرى) الي الجمع ، بعد ان تحدث إلى أحد مسئولى معبر رفح وقال

- لقد تفهم المسئولين الوضع ويتم الآن الاتصال بالجانب المصري للتنسيق لعبورنا الى الاراضى المصرية .
- انا لن اذهب معكم

التفت الجميع الى (ليان) الذي كان هو قائل تلك الجملة ، و ارتسمت الدهشة على ملامح الجميع ، فاقتربت منه (نورهان) وهى يكسو وجهها الذهول

- ماذا ؟
- لن تاتى .. بعد كل ما حدث ؟

نظر اليها والى الدموع التى تكونت فى مقلتيها

- صدقينى هذا أفضل ، لي على الأقل

رسالة الورد للكاتب مايكل يوسف

سقطت دمعة حبيسة حاولت جاهدة أن تمنعها وقالت بصوت متهدج

- كيف هذا ؟
- انت مصرى ابن مصرى ، مكانك فى بلد ابيك واجدادك .

نظر (ليان) للأرض وظل صامتا لفترة واخيرا قال

- اعلم هذا ، ولكنى ساظل من ام اسرائيلية الى الابد يا (نورهان)
- اعلم انى لست إسرائيليا ، لم اشعر ابدا باى انتماء لهذا الوطن المزعوم ، وايضا لست يهوديا ، لقد توقفت تماما عن ممارسة الشعائر الدينية من فترة ، بل أيضا شرعت فى تعلم الشعائر الاسلامية ، وامارسها فى الخفاء فى هذا المجتمع .

وصمت قليلا وترقرقت الدموع فى عينيه وتابع

سلسلة الروايات للكاتب ميكى يوسف

- ولكن هناك لن اكون مصريا خالصا على الأقل فى المجتمع المصرى ، دائما ما سوف يتذكر الناس امى ، لذلك افضل ان ابقى هنا ، واقاتل ذلك العدو من داخله ، فلا اعتقد ان هناك احد يستطيع ان يفهم ذلك المجتمع اكثر منى .

وارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول

- فأنا ابنه ..

خيم الصمت على الجميع ، ولم يقطعه الا صوت (اية) قائله

- وانا معك

نظر (ليان) لها فى دهشة ، فتابعت

- ولن تجد أفضل منى لمساعدتك ، فانا احفظ ذلك المجتمع عن ظهر قلب ، واعتقد ان اثنين أفضل من واحد ، أليس كذلك .

نظر لها (ليان) نظرة امتنان ، ولاول مرة يدرك جمال وروعة عيناها ، شعرت بالخجل لنظراته فحولت وجهها بعيدا على استحياء .

تقدم (اشرف) من (ليان) ومد يده مصافحا ، وتلاقت أيديهم ، وقبض (اشرف) بقوة على يد (ليان) وقال .

- حقا تشرفت بلقائك يا بنى ، وأعلم جيدا ان ابيك فخورا بك .

- ابى ؟؟

قالها (ليان) فى دهشة

- هل تعلم من هو أبي ؟

هز (اشرف) راسة وقال

- نعم يا بني أبيك كان صديق شخصي لي .

- كان !!!

نطقها (ليان) فى جزع

سلسلة روايات الكاتب مايكل يوسف

- هل تقصد انه ؟؟

هز (اشرف) رأسه قائلا

- لا احد يعلم يا ولدى ، لا أحد

- ولكن ما اعلمه جيدا انه بالتأكيد فخوراً بك .

انحدرت دمعة من عين (ليان) كان قد حاول كتمانها لكنها انحدرت على وجنته دون رغبة منه ، فاستدار راحلا وهو يقول.

- الى اللقاء

قالها وانصرف مباشرة ، وتبعتة (اية) فأسرعت وأمسكت بيده ، وسارا معاً مبتعدين .

- لماذا فعلت هذا ؟ لماذا لم تخبره ؟

نطقها (خيرى) والدموع تكاد ان تغرق وجهه

التفت (اشرف) الى صديق عمره ومد يده يمسح دموعه وقال .

سلسلة الروايات للكاتب مايكل يوسف

- هذا افضل له يا صديقى ، انه ذكى وأدرك ما سوف تؤول اليه الامور لاحقا ، وبالفعل هو افضل من يقاتل هناك داخل أرض العدو .
- ولكن هل تترك ابنك هكذا ؟ ألا تشعر بالخوف على حياته ؟ اتتركة يحارب دولة كاملة بمفرده .

قالها (خيرى) بنفعال ، فشد (اشرف) على يده وقال .

- ليس وحده يا (خيرى) .. ليس وحدة ، فالله معه ، وبعد أن رأيته فى ساحة المعركة ، فانا لا اخاف علية ، هو لها بإذن الله .

تعالى فى تلك اللحظة ، صوت النداء الالى مشيرا لهم بالتوجه الى البوابة الخاصة بالعبور للأراضى المصرية ، فتحركت (نورهان) والدموع تغرق وجهها ، وتبعها المسعفين يحملون جسد (مسعود) على محافة طبية ، فاشار (خيرى) إلى اشرف وقال .

- هى بنا

- اذهب انت يا (خيرى)

كاد (خيرى) ان يسقط ارضا بسبب توقفه المفاجئ نتيجة الجملة التى نطقها (اشرف) ، والتفت إليه وهو فاغرا فاه .

- ماذا ؟؟

اقترب منه (اشرف) ووضع يده على كتفه ناظرا فى عينيه وقال .

- يجب ان اعود لها يا (خيرى)

- لا استطيع ان اتركها بمفردها ، والافضل للجميع ان اكون مختفيا او الافضل ان اكون ميتا .

- ولكن ...

نطقها (خيرى) وهو لا يجد ما يقول من هول الصدمة .

فامسك (اشرف) بيده و صافحه وعانقه وهو يقول له .

- سوف نلتقى يا صديقي ، أعدك سوف نلتقى .

قالها وانصرف مسرعا في اتجاه القطاع نفسه ، ولم يترك له فرصة للكلام أو الحديث ، ظل (خيرى) واقفا لفترة واخيرا تحرك تجاه الأراضي المصرية والدموع تنهمر من عينيه وقال بصوت ضعيف .

- الى اللقاء
- الى اللقاء يا صديق العمر .

وعلى مسافة قريبة توقف (اشرف) ينظر إلى (خيرى) وهو يعبر للاراضى المصرية ، والتفت الى الجهه الاخرى ، ورأى (ليان) و (اية) وهما يعودان إدراجهما تجاه الأراضي المحتلة.

- الى اللقاء يا (ليان)
- الى اللقاء يا ولدى ..

تمت بحمد الله ،،،

مايكل يوسف.. مهندس كمبيوتر، متخصص شبكات.. مواليد القاهرة عام ١٩٨٠ وحاليا مقيم بالإسكندرية. كاتب روائي صدر له العديد من الأعمال السابقة. السوار (مجموعة قصصية)، التركة (رواية) وصدرت منهما عدة طبعات و يوما ما في أغسطس (رواية) من دار نشر ببلومانيا. وايضا رواية (أنا) والتي حققت أعلى المبيعات في معرض القاهرة الدولي الكتاب لعام 2023 والتابعة لدار الزيات للنشر والتوزيع . وشارك في العديد من المسابقات للقصه القصيرة مثل (نقطة ومن أول الشغف) وأيضا مسابقة (لا مستحيلا) للعام الحالي. يمتاز أسلوبه بالغموض، والنهايات غير المتوقعة، وبرع في سرد القصص القصيرة، قال عنه فنان الكاريكاتير العالمي العم تاج: مايكل يوسف.. مهندس الكومبيوتر الذي حوَّل الحروف العربية إلى شُعاع تنوير وأدب، وإبداع قصصي بأسلوب مدهش، انتظروا "يوسف إدريس" جديد.

الكاتب مايكل يوسف